

الحس الفكاهي في الأدب الشعبي الجزائري

Humor in Algerian folk literature

فاتح عباد

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة، كلية الآداب واللغات، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية،

fateh.turk@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2022/12/14

تاريخ القبول: 2021/12/05

تاريخ الاستلام: 2021/03/14

ملخص:

إنّ أدب الفكاهة مثير للمتعة، وقد ورد في الأدب الرسمي على مر العصور، إلّا إنّ محلّ دراستنا تكمن في مدى تواجد الأدب الفكاهي في الأدب الشعبي الجزائري، ونهدف من خلال ذلك إلى إبراز حس الفكاهة، وما يتضمنه من الطرفة والظرف لدى الشعب الجزائري. ومن هذا المنطلق جاءت طرح السؤال الآتي: هل توفّر الأدب الشعبي الجزائري على الحس الفكاهي؟

اعتمدنا في عرض بحثنا منهجية قائمة على ذكر أهم العناوين المرتبطة بالموضوع، فبدأنا بذكر الجانب المفاهيمي للحس الفكاهي، ثمّ أشرنا إلى هذا الأدب في التراث العربي القديم، لننتقل بعدها إلى الحس الفكاهي في الأدب الشعبي، وفصلنا فيه من خلال عرضه وفقا للفنون الأدبية الشعبية.

ومن النتائج المتوصل إليها من خلال البحث؛ وفرة الحس الفكاهي في الأدب الشعبي الجزائري، واختلاف مظاهره، بين الطرفة، والحيلة، والسخرية، والتهكّم، فكّلها دارجة في أدبنا الشعبي الجزائري، ممّا يعكس روح الدعابة لدى الشعب الجزائري.

كلمات دالة: حس؛ فكاهة؛ أدب؛ شعب؛ جزائر.

Abstract:

Humor is interesting. It has been written in official literature throughout the ages. We study the extent to which comic literature is present in Algerian popular literature. We aim to highlight the sense of humor, the humor it contains in the Algerian people. From it came the research problem as follows: Does Algerian folk literature offer a sense of humor?.

In our presentation, we used a methodology based on the most relevant headings; The conceptual side of humor, this literature in ancient Arabic heritage, the sense of humor in folk literature, through popular literary arts.

research results; The abundance of humor in Algerian popular literature, and the different manifestations of it, are: humor, mockery and sarcasm. They are all found in our Algerian folk literature, reflecting the sense of humor among the Algerian people.

Keywords: sense; humor; literature; People; Algeria.

مقدمة

انتشرت الفكاهة عبر العصور الأدبية، وعلى مر التاريخ، وهي غير مقتصورة على فئة شعبية دون أخرى، فلكل شعب روحه في الفكاهة والدعابة، والتسرية عن نفسه، وقد عرف الشعب الجزائري الفكاهة، كما عرفتها باقي الأمم، فهي حاضرة في لغته وأدبه، وهي تختلف من حيث القلب الذي وضعت فيه، وكذلك الهدف المنوط بها، إذ لا تهدف إلى الترفيه والضحك فحسب، بل لها أهداف أخرى توعوية إصلاحية، تصرّحاً أو تلميحاً، والقلب الهزلي هو ما يجعل هذه الأهداف مقبولة من طرف المتلقي، وتحتّ على إعمال عقله في استنباط ما لها من حكم وغير. ويجدر القول أنه ليس من الهين إضحاك الناس وزرع الابتسامة في وجوههم، إذ لا بدّ من توفر شروط في المضحك، كخفة الدم، وسرعة البديهة، والقدرة على صياغة الموقف المضحك، أي أن لمسة الإبداع لا بدّ أن تكون حاضرة فيه.

وقد عمدنا إلى تقسيم هذا البحث إلى جملة من العناصر، من شأنها أن تخدم الموضوع، فعرفنا مصطلحي الحس والفكاهة، من حيث اللغة والاصطلاح، كما أشرنا إلى الفكاهة في التراث العربي القديم، لتتحدث بعدها عن الفكاهة في الأدب الشعبي، يليه عنوان الفكاهة بين الفنون الشعبية الجزائرية، فننتقل إلى كل جنس أدبي على حدة، وما أنتج من لون فكاهي فيه.

وبناء على ما سبق، جاءت الإشكالية على النحو الآتي:

- ما مدى حضور الحس الفكاهي في الأدب الشعبي الجزائري؟

وصغنا الفرضية الآتية:

توفر الأدب الشعبي الجزائري على ألوان فكاهية متنوعة، تضمنها الأجناس الأدبية على اختلاف أشكالها، من نكت، وألغاز، وأمثال، وحكايات، وسير، وأغاني...إلخ.

أما عن الدراسات السابقة، فنذكر: الأدب الفكاهي للدكتور عبد العزيز شرف، السخرية في الأدب العربي للدكتور نعمان محمد أمين طه، الأدب الساخر للدكتور نبيل راغب.

1-تعريف الحس:

1-1 لغة:

الحسُّ وجع يصيب المرأة بعد الولادة، وتحسس الخير: تطلبه وتبحثه، وفي التنزيل: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَبْئُسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف، الآية: 87)

وتحسست من الشيء أي تحيرت خبره. وحس منه خبراً وأحس، كلاهما رأى. وعلى هذا فسر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۚ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 52) وحكى اللحياني: ما أحس منهم أحداً أي ما رأى. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحْسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (سورة مريم، الآية: 98) معناه: فلما وجد عيسى، قال: والإحساس الوجود. (ابن منظور، 1999، صفحة 170)

1-2 اصطلاحاً:

عرف الإحساس في مجال علم النفس بالاستجابة الوجدانية للمؤثرات الخارجية، فالإحساس عملية عقلية تتمثل في "الاستجابة الأولية لعضو الحس، تقوم على استقبال المعلومات من خلال أعضاء الحس، وفيها يتعرف الفرد على الخصائص الفردية للأشياء أو الظواهر أو الأحداث التي تقع في العالم المحيط به" (منصور، د.ت، صفحة 484)

والمعروف أن للإنسان خمسة حواس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، إضافة إلى الحاستين: الحركية والذهنية، فتعتمد الأولى على أدوات استقبال في العضلات والأوتار والمفاصل،

في حين أن الثانية تكمن في كون الإحساس في واقعه مسبوق بفعاليات العقل ليخلص إلى تحصيل الإدراك الذي ينفرد به الإنسان عن باقي الكائنات.

2- تعريف الفكاهة:

2-1 لغة:

ورد في الصِّحاح للجوهري "الفكاهة بالضم: المزاح، والفكاهة بالفتح: مصدر فكّه الرجل بالكسر، فهو فكّه، إذا كان طيب النفس مزاحاً" (الجوهري، 2009، صفحة 896) وورد في المعجم الأدبي: "الفكاهة anecdote ملحّة، طرفة، نكتة، حكاية هزلية قصيرة، سرد أو وصف أو قصة عن شخص أو حادث. والاستطراد الحكاياتي الفكاهي شكل شائع في النثر والشعر القصصي.." (نواف، 2007، صفحة 154) ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا أن الفكاهة تحمل معاني عديدة، منها طيبة النفس، والمزاح، والهزل... إلخ.

2-2 اصطلاحاً:

الفكاهة هي كتابة أو قول أو فعل أُثير للإضحاك، وبث روح الدعابة في الآخرين، فهي معدّة للترفيه والترويح عن النفس، وخلق جو ممتع ومسل، فقد كان موقع الضحك من سرور النفس "عظيماً، ومن مصلحة الطّباع كبيراً، وهو شيء في أصل الطّباع، وفي أساس التركيب؛ لأنّ الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علّة سروره، ومادة قوته." (الجاحظ، د.ت، صفحة 6)

ويمكن القول إنّ روح الفكاهة هي التي تشير إلى "الاستجابة الملائمة للمؤثرات الهزلية من جهة، والقدرة على ابتداء أفانين الضحك من جهة أخرى، ذلك أنّ الروح الفكاهية تنطوي على عنصر تقدير، يستطيع بمقتضاه الشخص أن يضحك في الوقت المناسب، وعنصر إبداع يستطيع الشخص بمقتضاه أن ينتزع استجابة الضحك من الآخرين" (شرف، 1992، صفحة 7)

3- مفهوم الحس الفكاهي:

يقصد بالحس الفكاهي أن يتمتع الشخص بروح الدعابة وخفّة الظلّ، ومملكة الظّرف، فيمكنه إطلاق النكت بشكل ممتع، فيخلق بذلك جوّاً من الضحك والتسلية لدى جمهور السامعين، إذ تتوافق الأشياء المثيرة للضحك بينه وبينهم، ويجدر القول أن إضحاك الآخرين ليس

بالأمر الهين، فمن يستطيع ذلك لابد أن يتوفر فيه الجانب الإبداعي من حيث نسج القصة أو النكتة، وكذا من حيث حركاته وإيماءات وجهه، وهي أمور تختلف بحسب كل شخص.

4- الفكاهة في التراث العربي:

عرفت الفكاهة في الأدب العربي القديم، وإن لم يصلنا منها الكثير في العصر الجاهلي، ولعل هذا راجع إلى قساوة العيش وصعوبة الحياة في صحراء العرب القاحلة، ومن الشواهد الدالة على وجود السخرية في ذلك العصر، قول عبيد بن أيوب العنبري: (المسعودي، 2005، صفحة 122)

وساخرة مني، ولو أن عينها، رأيت ما رأيت عيني من الهول جئت

أبيت بسعلاة وغول بقفرة إذا الليل وارى الجن فيه أرئت

وقال امرؤ القيس لما فرقت بنو نيهان عليه فرقا من معزى يحلبها، أنشأ يقول تنديدا واستخفافا:
(امرؤ القيس، د.ت، صفحة 22)

إذا لم تكن إبل فمعزى كأن قرون جلته العصى

وجاد لها الربيع بواقصات فأرام وجاد لها الولي

إذا ما قام حالبها أرئت كأن القوم صبحهم نعي

أما في صدر الإسلام "وفي أثناء المعركة الهائلة التي نشبت بين الإسلام والوثنيين المشركين، فقد استخدمت السخرية غالبا من جانب المشركين لأنهم المنهزمون عقليا وروحيا، فاستخدموا هذا السلاح مع ما استخدموا من أسلحة أخرى" (أمين طه ن.، 1978، صفحة 26) لعلهم ينتصرون على الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن كلمة الحق علت فوق رؤوسهم. قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّكَ كَافِيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الحجر، الآية: 95)

وللاشارة فإن هناك فكاهة وسخرية كثيرة ضاعت في العصرين الجاهلي والإسلامي، لكنها ضاعت كغيرها من الآثار الأدبية الشعرية والنثرية لغياب التدوين أو قلته آنذاك.

وتجلت روح الفكاهة في العصر الأموي مع شعراء النفاضة: جرير والفرزدق والأخطل، فقد كانت بينهم حربا كلامية، لا تخلو من التهكم والسخرية، مليئة بكلمات نابية لادغة، ومن أمثلة ذلك قول جرير في هجاء الفرزدق: (جرير، 1986، صفحة 458)

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِرًا، وَجَاءَتْ بوزارزٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ

أما العصر العباسي فقد حفل بمجالس اللهو وانتشر الظرفاء والندماء في مجالس القصور،
مثيرين جواً من التسلية لما اكتنزوه من حس فكاهي، وقد شيع في كثير من الفنون الأدبية، ففي
الشعر مثلاً نجد قول ابن الرومي هاجيا وساخرا: (ابن الرومي، 2002، صفحة 139)

وجهك يا عمرو فيه طولُ وفي وجوه الكلاب طولُ

وفي النثر برع الجاحظ في نقل نواذر البخلاء في صور هزلية ممتعة في كتابه "البخلاء"، كما اشتهر
ابن المقفع بشخصيته الساخرة، "وكان يميزه شيء من خفة الروح، والميل إلى المرح والدعابة.. تلك
السخرية التي كانت تختفي أحيانا في أعماقه، وتطل برأسها في كتابته، وكانت أحيانا أخرى تظهر
على لسانه حينما كان يعث ببعض الناس" (أمين طه ن.، 1978، صفحة 122)

إذن فالعرب قدما عرفوا الفكاهة واستخدموها وفق ألوان أدبية متعددة، وصاغوها في أشكال
كثيرة، منها الهجاء، والقدح اللاذع، والسخرية، والهزل... إلخ.

5- الفكاهة في الأدب الشعبي:

يدرج في الأدب الشعبي ذي الطابع الفكاهي ما ورد في كتاب ألف ليلة وليلة من حكايات
هزلية ساخرة، "والحكايات والحواديت الضاحكة، التي تحمل إلى جوار ما يملؤها من سخرية حكمة
الشعب، وقوة حسه بالمفارقة، والمواقف المتناقضة، التي هي سمة الحياة، والتي يخفف إدراكها من
جدية معاناة الحياة ومشتقاتها" (خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، 1991، صفحة 183)
وقد اتخذت الفكاهة في الأدب الشعبي مظاهر كثيرة، كالدعابة، والحمق، والتطفل، والرد
بالمثل، وسرعة البديهة، والتهكم والسخرية.

ومن بين أشهر الشخصيات الشعبية المعروفة بالتهكم والاستطراف شخصية جحا، وقد
اختلف في أصله، فمنهم من ذكر أنه "أبو الغصن، صاحب النوادر، يضرب به المثل في الحمق
والغفلة.. عربي النسب: فزاري القبيلة، كوفي المنبت، شهيد ثورة أبي مسلم الخراساني على الأمويين"
(جويدي، نوادر جحا الكبرى، د.ت، صفحة 5)، ومنهم من قال أنه "الشيخ نصر الدين جحا
الرومي، تركي الأصل من أهل الأناضول" (جويدي، نوادر جحا الكبرى، صفحة 8)، وعلى كل
حال فما يهمنا في هذا الصدد ما تميز به هذا الرجل من روح الدعابة، وسرعة البديهة، فكان
مضرب المثل في الإضحاك والتندر.

كما اشتهرت شخصية أشعب الطفيلي في الفكاهة، فأشعب هو ذلك الرجل "الراصد
للموائد والطعوم، كما يرصد الفلكي الكواكب والنجوم" (الحكيم، 1990، صفحة 12)

كما تنوعت السخرية في كتاب التوابع والزوابع لابن شهيد، حيث عرض شخصيات متواجدة في حياته، ونقلها إلينا في صورة مشوهة، وألبسها ثوب السخرية والاستهزاء، إذ "لا تخلو رسالة التوابع والزوابع عن السخر؛ فإن ابن شهيد، في تعرضه للشعراء والأدباء، أخرج الكلام عليهم مخرج الهزل والتهكم؛ إلا أن سخريته تتسم بالحدة والخشونة والإقذاع والوضوح" (ابن شهيد، د.ت، صفحة 112)

ولبدع الزمان الهمداني باب واسع من السخرية والتهكم، في مقاماته، فبطل المقامة شخص فطن ذكي، يتصف بالدهاء والحيلة، ويتحلى بروح الدعابة والمرح، فيظفر بغنيمته معتمدا الكدية، فالمكدي يبحث عن "حيلة طريفة تدبر للحصول على المال.. وهل الكدية في المقامات إلا تسول بالقول الجميل، إلى جانب اصطناع الحيلة" (مرتاض، 1988، الصفحات 30-33) وهكذا فإننا نخلص إلى أن العرب قديما تمتعوا بروح الدعابة والفكاهة، فكثيرا ما كانت الطرفة حاضرة في أنديةهم.

6- الفكاهة بين الفنون الشعبية الجزائرية:

اعتمد الشعب الجزائري عدة ألوان فنية في تقديم عنصر الفكاهة، فهي موزعة وفق الأجناس الأدبية المعروفة؛ كالنكتة، واللغز، والمثل، والحكاية، والسيرة، والأغنية، وغيرها، وقد أوردنا البعض منها فيما يأتي:

6-1 النكتة الشعبية:

تنبع النكتة من الشعب، "فالنكتة نتاج أدبي ينبع من الاهتمام الروحي الشعبي..، والنكتة خبر قصير في شكل حكاية، أو هي عبارة أو لفظة تصير الضحك" (إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، د.ت، صفحة 176)، والشعب الجزائري شعب مرح، يهوى الابتسامة والضحك أوقات الرخاء وفي مجالس الأنس، فروح الدعابة تسري في عروقه، والنكتة حاضرة دائما في محياه، بغيته من ذلك التسرية عن النفس، وخلق جو من البهجة والسرور. وكمثال عن النكتة الجزائرية نذكر النكتة الآتية: "واحد راح للطبيب النفسي، قالو: يا سيدي حسيت بروحي صرت كلب، قالو الطبيب: من وقتاه تعاني من هذا المرض؟ قالو: كي كنت جرو"، وهي باللغة العربية: "ذهب رجل إلى طبيب النفس، وأخبره قائلا: يا سيدي أحس بنفسي صرت كلبا، فسأله الطبيب: ومنذ متى أحسست بهذا؟ فأجابه الرجل: منذ أن كنت جروا"

نلاحظ في هذه القصة القصيرة وجود روح الفكاهة، لما روته من موقف هزلي طريف، وإن ظهرت ملامحه في البداية عند إخبار الرجل الطبيب بكونه يحس بأنه صار كلبا، إلا أن ذروة الطرفة تكمن في النهاية، فإجابته على سؤال الطبيب جد مضحكة، وغير متوقعة بالنسبة للقارئ. وتقول نكتة أخرى: "جحا غسل قميصو، ونشرو على الحبل، وما حطش عليه المساسك، كي جا الريح طار القميص معاه، كي شافو جحا قال: الحمد لله كي ما كنتش لابس القميص وإلا طرت معاه"، وهي باللغة العربية: "يحكي أن جحا قد قام بنشر قميصه على حبل الغسيل دون أن يُحكم إمساكه بالمشابك، فلما هبت الريح طار القميص عاليا، فلما رآه جحا فرح وقال: الحمد لله إذ لم أكن مرتديه وإلا لكنت قد طرت معه".

تبرز روح الفكاهة في هذه النكتة عند آخر حدث فيها، وهو موقف جحا من رؤيته لقميصه وهو يتطاير في الهواء، فقد فرح وحمد الله على كونه لم يكن مرتديه وإلا لطار معه، فمصدر الضحكة والطرفة في هذه النكتة هو غباء جحا وحمقه، وذلك باعتقاده أمرا مستحيل الحدوث.

6-2 اللغز الشعبي:

إنّ "اللغز شكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية.. واللغز في جوهره استعارة، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط والمقارنة وإدراك أوجه الشبه والاختلاف. على أن اللغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة؛ ذلك أن سبب كل شيء يثير الضحك احتواؤه على عنصر عدم التوقع." (إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، د.ت، صفحة 154)

وفيما يأتي نذكر جملة من الألغاز التي توفر فيها عنصر الفكاهة:

يقول اللغز الشعبي: "على عبد الصمد قال: اشهدوا يا حضار بعيني شفت الجنين من كرش أمو طار" أي اشهدوا يا حاضرين أي بصرت بعيني جنينا طار من بطن أمه، فالحدث غريب وعجيب، وفيه طرفة وتفكّه، إذ كيف للجنين أن يطير من بطن أمه؟! وهو ما يستدعي تفكير المتلقي، وإعمال عقله لعله يجد وجه القرابة بين هذه العبارة المضحكة والحل، هذا الأخير الذي يكمن في: السوس في الفول، وهنا تكتمل صورة الطرفة من خلال تشبيه حشرة السوس وهي تتطاير من باطن حبة الفول بالجنين الذي يطير من بطن أمه.

ويقول لغز شعبي آخر: "عندو أهلو وماعندوش ناسو، الناس تدخل بكرعيها وهو يدخل براسو"، تظهر الفكاهة في العبارة الأخيرة من اللغز (الناس تدخل بكرعيها وهو يدخل براسو)،

فما هو الشيء الذي لا يدخل بقدميه بل برأسه؟! تبدو هذه العبارة غامضة، و معناها غير مألوف، وهو أمر طبيعي في اللغز الشعبي، فهو يقدم للمتلقّي عبارة قد تبدو غريبة لكنها تحمل شيفرة توصله إلى الحل إن هو أحسن التفكير، وبرع في التقدير، فحل هذا اللغز هو القلم والخبرة؛ فالقلم أو الريشة تغمس في المحبرة برأسها، وفي هذا ضرب من الطرفة والتفكّه.

يقول اللغز: "ناقتها الخضرة ومن بعيد تسمع لغاها، ما تباعت في السوق ولا عربي شراها"، والحل هو: الضفدعة، فقد أُشير إلى لونها (الخضرة)، وما لها من نقيق يسمع من مكان بعيد (من بعيد تسمع لغاها)، كما أنّها لا تعرض في الأسواق، ولا يبتغي أحد اقتناءها، فكلها عبارات تحمل السخرية والتهكّم على هذا المخلوق.

وجاء في لغز شعبي آخر: "وذنو ورقة وعينو، زرقة، وهو يموت على السرقة"، والحل هو: القط، فنلاحظ أنّ عبارة (وذنو ورقة) أي أذنه ورقة عبارة طريفة، ووجه الشبه فيها انبساط الأذن ورقتها فهي شبيهة بالورق، وقد بلغت العبارة الأخيرة ذروة التفكّه (وهو يموت على السرقة)، فقد جعل القط لصاً محتالاً هوايته المفضلة السرقة والاختلاس، إشارة إلى عدم مقاومته لمنظر اللحم أمامه، فهو دائم التربص ليختطف غنيمته المفضلة دون إذن صاحبه.

6-3 المثل الشعبي:

تعدّ الأمثال الشعبية شكلاً من أشكال الأدب الشعبي، فهي تعبر عن واقع الشعب وأفكاره وتأملاته، كما تصور لنا في دلالاتها سلوكيات البشر تجاه أنفسهم وتجاه غيرهم، فتكون بذلك رقيباً على أي سلوك صادر منهم، تعالج مواقف الحياة الاجتماعية في عبارات مختصرة، معبرة عن التجربة المشابهة للموقف الذي يسايرها.

وهي تتجسد في شكل جمل قصيرة أو طويلة ذات دلالات ومعان عميقة عمق تجربة الأسلاف، الذين ينقلون كل ما عاشوه إلى الخلف. فالمثل الشعبي مثله مثل أي جنس أدبي شعبي آخر ينقل بالتواتر عبر الأجيال ليشكّل جزءاً من الهوية الثقافية الشعبية للمجتمع.

ويقول أحمد أمين "أما الأمثال فكثير ما تتبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبر عن عقلية العامة، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول، أعني أنه لم يتخير لها ألفاظ الأدباء ولا العقلاء الراقين" (أمين، 2012، صفحة 68)

وفيما يأتي نذكر نماذج من الأمثال الشعبية، والتي ورد فيها الحس الفكاهي:

يقول المثل الشعبي: "لي ميعرفش السليخة والذبيحة مخذتو لبنت الناس فضيحة"، أي من لا يجيد عملية ذبح الأضحية وسلخها، فزواجه من المرأة يعتبر عارا وفضيحة له، ففي هذا المثل تهكم وسخرية واضحة لهذا الزوج، لأنه لم يتحلى بمقومات الرجولة الحقّة، والمقصود بذلك الصلابة والخشونة، وبالتالي فهو ليس أهلا للزواج لعدم قدرته على تحمل المسؤولية.

ويقول المثل: "الجمل يضحك على حدة خوه ونسي حذبتة"، فهذا المثل أشبه بالنكتة في معناه، لما يحمله من قالب هزلي مضحك، ويضرب لمن سخر من غيره ونسي نفسه، كحال الجمل الذي ضحك من سنام أخيه ونسي أن له سناما مثله. وفي مثل شعبي شبيه نوعا ما لهذا المثل: "المسلوخة تضحك على المذبوحة"، ويضرب لمن أعاب غيره وذمه في حين هو الأجدر بأن يكون محل الذم والقدح، نظرا لما به من عيب، وعليه فإن هذا المثل يحمل في معناه مفارقة، في تركيب ألفاظه سخرية واستهزاء بصاحب الموقف.

يقول المثل الشعبي: "القرد في عين أمو غزال"، فعبارة طريفة، مثيرة للضحك، ويكمن عنصر الطّرفة في المفارقة بذكر المعنى ونقيضه، فالقرد مضرب المثل في قبح المنظر، وهو أمر شائع لدى الشعب الجزائري، فهم يشبهون الدميم بالقرد، في حين ذكرت الغزالة، وهي مضرب المثل في الحسن والجمال، وتكمن الطّرفة هنا في كون الأم ترى ابنها الدميم جميل الشكل، بهي الطلعة، ويضرب هذا المثل عندما يرى الشخص في نفسه ما لا يراه الآخرون فيه، ولا سيما من حيث المظهر الخارجي.

يقول المثل: "إذا تفاهمت العجوز والكنة الشيطان يدخل للجنة"، يضرب هذا المثل عند القول باستحالة حدوث الأمر، فهو مستحيل الوقوع استحالة اتفاق الحماة وكنتها، وذلك راجع للعلاقة المتوتّرة -في الغالب- بين الطرفين، وباتفاقهما يدخل الشيطان الجنة، وهنا مفارقة كون هذا أمر يستحيل وقوعه، فمن المضحك أن تبلغ درجة العداوة بين الحماة وكنتها إلى هذا الحد، ونرى أن فيه مبالغة، وأن هذا الحكم غير منصف لأنه مطلق فلا يجوز الإطلاق والتعميم، فكثير من الحموات في ألفة ووصال مع كنهاتهن.

6-4 الحكاية الشعبية:

تعتبر "الحيلة من الآليات السردية التي تشتهر بها الحكايات الشعبية، وهي ابتكار عقلي يلحقه الراوي بالبطل ليخدع بها المضاد أو المعيق.. وتستخدم الحيل من أجل وظيفة واحدة، هي الإنقاذ، إذ لولا الأزمة التي تنسج خيوطها حول البطل، ما ابتكر الراوي الحيلة لتخرج الأحداث

المتأزمة من لحظة التعقد والاشتباك إلى لحظة الحل والانبساط." (عبد المقصود الشاهد، 2012، صفحة 162)

ومن الحكايات الشعبية الجزائرية حكاية "بشكركر والغول"، وتتمحور أحداث هذه الحكاية حول رغبة القزم بشكركر في تخويف صديقه الغول، معتمداً في ذلك على ذكائه الخارق وسرعة بديهته في حسن التخلص، لأن الغول كان يظهر له الصداقة، لكنه في حقيقة الأمر يترصد لقتله، ومن باب الاستشهاد على حضور الحس الفكاهي في الحكاية الشعبية الجزائرية، نورد المقطع الآتي من الحكاية:

"في يوم من الأيام، كان بشكركر والغول بمشيوا في الغابة، جات ريح قاوية هزت بشكركر في السما، حتى عاد ما يياش للغول، وطاح على غصن شجرة فيها شهدة نخل مليانة بالعسل، بقي ياكل منها، وبعد ساعات عدى عليه الغول وشافو فوق الشجرة، ضحك عليه وقالو: أنت هنا يا وزن الريشة، ما كنتش نحسبك ضعيف لماذا الحد.

غضب بشكركر من الغول كي عاد يضحك عليه، وجاتو فكرة في راسو، قالو: يا غبي، كي كنا ماشيين شفت نخلة طيارة في الهوى، طرت وتبعنها باه نجيب العسل لي راك تشوف فيه. تعجب الغول وصدق بشكركر بلا ما يفكر، خاصة أنو شاف العسل في صبع صاحبو، وقالو: اعطني شوية عسل يا صاحبي العزيز، رمالو بشكركر طرف الشهدة، وقالو: كول تاكل الرهج. الغول طاح عليها ياكل، ونزل بشكركر من الشجرة وهو فرحان خاطر قدر يخدع الغول بكل سهولة" (عقيلة معافة، 71 سنة)

وهي باللغة الفصحى كما يأتي: "في أحد الأيام بينما كان بشكركر والغول يتمشيان في الغابة، فجأة هبت ريح قوية فحملت بشكركر وأخذته بعيداً عن ناظري الغول، تطاير بشكركر في الهواء إلى أن سقط على غصن شجرة، وكان فيها شهدة نخل مليئة بالعسل، فراح ياكل منها بنهم، بعد ساعات مر الغول على تلك الشجرة فرأى صديقه فوق أعلى غصن منها، ضحك الغول وقال مستهزئاً: أنت هنا يا وزن الريشة، لم أكن أتصور أنك ضعيف إلى هذا الحد. غضب بشكركر من سخرية الغول وفي لحظة اهتدى إلى إجابة ذكية فقال بكل ثقة: ويحك أيها الأبله، بينما كنا نمشي شاهدت نخلة تطير في الهواء، فطرت لألحق بها وأجيتي هذا العسل الذي تراه أمامك. أصابت الغول دهشة كبيرة، ولم يدخر لحظة لتصديق بشكركر، ولا سيما أن بإصبعه عسل يلعبه، فقال في استعطاف: هلاً منحني بعض العسل يا صديقي العزيز؟ رمى بشكركر بقطعة

شهد إلى الغول، وقال: خذ وُكُل، تأكل السم. انقض الغول على قطعة الشهد، وراح يلتهمها في نهم، بينما نزل بشكركر من الشجرة في هدوء، وهو مسرور لأنَّ حيلته قد نجحت " إن مواطن الطرفة في هذا المقطع كثيرة؛ أولها: تطاير بشكركر في الهواء عندما هبت الريح، والسبب في خفة وزنه، الأمر الذي أضحك صديقه الغول، وثانيها: فطنة بشكركر واستعماله الحيلة والخدعة ليظهر لصديقه عكس ما توقعه؛ فادعى بأنه طار بمحض إرادته بحثاً عن مكان العسل، هذا الأخير الذي وجد من باب الصدفة لا غير. وبلغت الطرفة ذروتها عند تصديق الغول لهذا الادعاء بسبب غبائه وقلة حيلته؛ فصدق بأن بشكركر قادر على الطيران، والعبرة من المقطع خصوصاً، والحكاية عموماً، تكمن في أن القوة ليست بضخامة الجسم وقوته، بل بالعقل ورجاحته، فبشكركر رغم صغر حجمه، وضعف بنيته، إلا أنه تمكن من هزيمة الغول بدهائه وسرعة بديته. فهذه الحكاية الشعبية جمعت بين مظاهر الطرفة والتفكك؛ والحيلة والذكاء، والحمق والغباء، وكذلك نسج الأحداث بطريقة ممتعة ومسلية.

6-5 السيرة الشعبية:

تعتبر السيرة الشعبية من الأجناس الأدبية المتداولة لدى الشعب الجزائري، و"تكاد لا تخلو سيرة شعبية من سيرنا كلها من وجود الشخصية الجانية، التي هي بطبيعتها شخصية حادة الذكاء، قادرة على توليد الفكاهة، وقادرة أيضاً على خلق المواقف الضاحكة" (خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، 1991، صفحة 184) فهذه الشخصية تعتمد على ما لديها من براعة في جذب الآخرين بما تستهويه أنفسهم من حب الضحك والتسلية، فتشكّل لذاكها مكانة بينهم، وتحوز بدور البطولة فتوظف المهارة العقلية إلى جانب القوة الجسدية، ونقصد بالمهارة العقلية القدرة على حياكة الخدع، ونصب المكائد والحيل، واعتماد الطرفة في الخلاص من المازق.

ونورد فيما يأتي مقطعاً من سيرة "ذياب الهلايلي"، حيث وقع سجال بين محبوبية البطل، واسمها الجازية، وغريمتها المدعوة رداح، وكلاهما مضرب المثل في الحسن والجمال، فالجازية "رمز المرأة البدوية بجمالها الفتان، وذكائها الحاد، وشجاعتها الفائقة، وحكايات السيرة الهلالية، كانت ترى وتنتشر على لسان المالحين أو البراحين" (بوزيدة، 2005، صفحة 83) "قالت الجازية لرداح:

صحيتي يا لالا أم الشهاوي يا لباسة زوج كساوي

يالي راحو ربعين رجعو ربعة" (معافة، 71 سنة)

فالجازية تسخر من رداح، وتعييرها بكونها خاطفة الرجال، لأنها سلبت قلب زوجها ذياب الهلايلي، فتصفها بولعها بالرجال في عبارة (أم الشهاوي) أي أنها تشتتهي سلب الرجال من أزواجهم، وعبارة (زوج كساوي) أي أنها تلبس كسوتين، كناية عن كثرة الرجال في حياتها، فبسبب ما تثيره من فتنة للرجال تقاتل أربعون فارساً، وماتوا جميعاً ماعداً أربعة، دلالة على ما تسببت به رداح من فتن وسفك للدماء.

وفي مقطع آخر، قالت الجازية لرداح، بأن أن وصفتها الأخيرة بالسوداء:

"أنا كحلة أخت النحلة، كي نطبخ على الجرح نبريه

وانت بيضا أخت البياض كي يطبخ في العين يعميه" (عقيلة معافة، 71 سنة)

ففي هذا المقطع سخريّة وتحكم صريح من طرف جازية لرداح، فعللت سمة بشرتها بشبهها للنحلة، وهو تشبيه اعتمد من باب الإيقاع من جهة، ليحدث التجانس اللفظي بين (كحلة- نحلة)، ولكون النحلة نشيطة ومدرة للعسل الذي فيه شفاء للناس، فكذلك هي الجازية، ذات نفع للآخرين، وفي المقابل اعتمدت نقض المعاني، بدم بياض رداح، مستدلة في ذلك بأن اللون الأبيض الساطع يعمي العيون من أثر قوة نوره، وبالتالي فهو أمر سلبي، ومذموم.

والتأمل في هذه الحرب الكلامية بين المرأتين يلحظ مدى ذكاء الجازية في سرعة البديهة، وحسن التخلص، فهي ترد بدهاء، موظفة الحجة الدامغة، والمفارقة؛ إذ جعلت من بياض البشرة، الذي هو محل إعجاب الرجال إلى أمر مستهجن ومعاب، وهنا تبرز روح الفكاهة والطفرة.

6-6 الأغنية الشعبية:

لا تندرج الأغاني الشعبية كلها تحت موضوع واحد، بل هي متنوعة بحسب النشاطات، والظروف والمناسبات التي تطبع حياة الناس، و لا غرابة في ذلك لكونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان و تعكس أدق تفاصيلها.

ومن المفاهيم المقدمة للأغنية الشعبية كذلك أنها "ركن من أركان ثقافتنا وصفحة تعكس جانباً من عاداتنا وتقاليدنا، والأغنية تختلف عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبي في

كونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معا، لا عن طريق الكلمة وحدها" (نطور، 2009/2008، صفحة 12)

ومن خلال ما سبق، يمكننا القول إن الأغنية الشعبية هي التي تتواتر عبر الأجيال بشكل مستمر، ولأزمنة طويلة، وترتبط بمكان وبيئة وجماعة ما من البشر، ولا يشترط أن يكون مؤلفها مجهولاً، وهي تتأثر بالبيئة التي تخرج منها، أي أن لها ارتباطاً مادياً وعقلياً وروحياً بالمجتمع، وهي إبداع تلقائي صادر عن فكر ووجدان مشترك بين أبناء المجتمع، ويمارسها المجتمع في إطار من عاداته، وتقاليده، ومناسباته الاحتفالية المتنوعة، والأحداث التي كانت تجري في تلك الحقبة.

وقد ورد الحس الفكاهي في الأغنية الشعبية الجزائرية بشكل كبير، ولا سيما في الأغاني الثورية، إذ تضمنت سخرية وتهكماً من العدو المستعمر، ومن وقف إلى جانبه من العملاء، فمما جاء في وصف تصرفات فرنسا اللاعقلانية

إلى حباب يقدي نوري يشاكننا فالوطنية
دافع على الدرابو المنصور تاع الدولة الإسلامية
فرنسا جنّت و عمات وعادت تلبس فالبنات

تطلع فيهم قريطات وتقول الجزائر ليا (عقيلة معاف، 71 سنة)

بعد أن وجه مبدع الأغنية دعوة إلى المواطنين للمشاركة في الثورة، والدفاع عن الهوية الوطنية، نعت فرنسا بالجنون وفقدان البصيرة، لأنها تقوم بأعمال لا يقبلها العقل ولا المنطق؛ تحاول عبثاً إطفاء نار الجهاد، فتعتمد إلى شتى السبل، منها تجنيد الفتيات، وما يدعو إلى السخرية أكثر زعمها أن الجزائر ملكها، وهو زعم كاذب لا أساس له من الصحة.

وكثيراً ما نعت العملاء بالطمع والسعي وراء المال، لأن من أسباب انضمام فئة العملاء إلى صف المستعمر، أنهم يبحثون عن رغد العيش وطيبه، ومنها البحث عن المرتب،

أي الأجر المسعف على الثراء، تقول الأغنية في ذلك :

القومي تقطع صباطو على جال الصبة والقاطو (عقيلة معاف، 71 سنة)

كما تقول فيهم :

بالقومية لعمى يعميكم وإفرنسا ما تدوم اعليكم
تبعنوا المرقسة و اللوبية خلقتوا الوطن و الحرية (هنية بوترة، 68 سنة)

فضل هؤلاء العملاء الفئات الذي ترميه إليهم فرنسا من أكل، ومبالغ زهيدة على نصرة الوطن، وتحقيق الحرية، لذا فهم محل سخرية واستهزاء من طرف مبدع الأغنية الشعبية الجزائرية.

وردت مفاضلة طريفة، مليئة بمواطن السخرية والتهكم، هي مفاضلة بين زوجة العميل، وزوجة الجندي في إحدى الأغاني الشعبية، فقوبلت الأولى بالذم والقدح، في حين قوبلت الثانية بالثناء والمدح. تقول الأغنية :

يَا مَرَّتِ الْجُنْدِي أَيُّ تَطْلُعَ الطَّاقَةَ يَا مَرَّتِ الْقُومِي تَطْلُبُ فَالْصَّدَاقَةَ

يَا مَرَّتِ الْقُومِي لِابْسَةِ الْمَالِاسِ يَا مَرَّتِ الْجُنْدِي تَحْوُسُ فِي لَعْرَاسِ

يا مَرَّتِ الْقُومِي لِابْسَةِ السِّمِيجَاتِ يَا مَرَّتِ الْجُنْدِي هَيَّازَةُ الْمَطْرِيَاتِ (عقيلة معافة، 71 سنة)

في البيت الأول تبدو زوجة الجندي سيدة في عز دارها، تطل على النافذة، لترى زوجة العميل ترتدي أثملاً بالية، وتطوف في الأزقة رافعة يدها للصدقة، وفي البيت الثاني تذكر الأغنية أن زوجة العميل، وهي تلبس نوعاً بسيطاً من القماش، كناية عن فقرها أو شحها، في حين تحول زوجة الجندي في الأعراس، دلالة على سيرتها العطرة، فلولاها لما عزمت في تلك الأفراح والمناسبات.

أما في البيت الأخير فباب المفاضلة واضح؛ فبينما ترتدي زوجة العميل نوعاً من القماش لا ندري قيمته، لكن الراجح أن المقصود به كونه قماشاً مشترى مما يقدمه المستعمر للعميل من مال زهيد، في حين تُرْسهم زوجة الجندي في العملية الثورية، حاملة بيدها أخطر أنواع الأسلحة، دلالة على شجاعتها وإقدامها.

وَمِنَ النَّعَوَاتِ الْقَبِيحَةِ وَالْأَلْفَاظِ الْمَقْدَعَةِ الَّتِي وَجَّهَتْ إِلَى زَوَاجَاتِ الْعُمَّالِ :

يَا نَسَا الْقُومِيَّةِ بِسَا عَرَبِي النَّبِيَانِ

كِي تَرُوحُ فَرَانْسَا وَتَضَالُو رَعِيَانِ (عقيلة معافة، 71 سنة)

فَلْخَطَابِ هُنَا مَوْجِهٌ إِلَى زَوَاجَاتِ الْعُمَّالِ، وَقَدْ نَعَتُوا بِعِبَارَةِ "عَرَبِي النَّبِيَانِ" أَيُّ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ الذَّهَبِيَّةِ، وَهِيَ كَنَايَةٌ عَنِ الْمَكَانَةِ الْمَرْمُوقَةِ الْحَاكِيَّةِ، الَّتِي سَتَتَحَوَّلُ بَعْدَ الْاِسْتِقْلَالِ إِلَى طَبَقَةِ دُونِيَّةِ (رعيان).

خاتمة:

يتضح لنا من خلال هذا البحث ما للحس الفكاهي من حضور في الأدب الشعبي الجزائري، فهو حاضر بقوة من خلال الفنون الأدبية الشعبية، وهذا ما يعكس خفة الظل وروح الدعابة والمرح في الشعب الجزائري، ومن ضمن النتائج المتوصل إليها ما يأتي:

- للفكاهة أهداف أخرى غير الإضحاك، فهي تحمل في طياتها نصائح وتوجيهات، ذات طابع إصلاحي توعوي، وسيلته الطرفة والتفكك، فتسهل عملية الاستيعاب والتقبل من طرف المتلقي.
- للفكاهة أوجه كثيرة، من بينها: الطرافة والنكتة، التهكم والسخرية، الحيلة والكديّة، الحمق والغباوة، المفارقة و الرد بالمعاني النقيضة، سرعة البديهة وحسن التخلص.
- لا يتأتى الحس الفكاهي لأي إنسان عادي، بل هناك مواصفات لا بدّ من توفرها حتى يتمكن الشخص من إضحاك الآخرين، وهذا يعتمد، وبشكل كبير على خفة دمه، ونباهة عقله، وحسن استغلال التعبير عن الموقف أو الفكرة.
- تعددت الفنون الأدبية، التي وظفت الحس الفكاهي في مضامينها، منها: النكتة، واللغز، والمثل، والحكاية، والسيرة، والأغنية، وهي فنون نابعة من عامة الشعب، ومنبعثة من عاداته، واهتماماته، وتجاربه الحياتية.

أما عن التوصيات، فنطرحها كالآتي:

- فتح المجال للتأليف في الأدب الشعبي الفكاهي، من خلال تقديم التحفيزات اللازمة، كالجوائز.
- إجراء مسابقات أدبية في الأدب الشعبي الفكاهي، بغية الترويج لهذا اللون الأدبي.
- الدعوة إلى إحياء ملتقيات دولية ووطنية، وندوات علمية، موضوعها: الأدب الشعبي الجزائري.
- استغلال الفنون الشعبية الفكاهية، المنطوقة شفاهة، وإعادة صياغتها في مؤلفات أدبية، لحماية هذا الإرث الشعبي من الضياع والاندثار.

المراجع:

- 1- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- 2- ابن شهيد، رسالة التوايع والزوايع، مكتبة صادر، بيروت.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.
- 4- أبو النصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009م.
- 5- أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.
- 6- الجاحظ، البخلاء، دار المعارف، القاهرة.
- 7- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار المعارف، القاهرة.
- 8- توفيق الحكيم، أشعب ملك الطفيليين، مكتبة مصر، مصر، 1990م.
- 9- جرير، ديوان جرير. دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.
- 10- درويش جويدي، نوادر جحا الكبرى، الدار النموذجية للطباعة والنشر، بيروت.
- 11- طلعت منصور، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 12- عبد الرحمن بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، crasc، الجزائر، 2005م.
- 13- عبد الرؤوف شرف، أدبيات الأدب الفكاهي، الشركة العالمية للنشر-لونجمان، مصر، 1992م.
- 14- عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، درجة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2008م.
- 15- عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988م.
- 16- فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة، 1991م.
- 17- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.
- 18- عقيلة معافة، حكاية بشكرزك والغول، سيرة ذياب الهلايلي، الأغنية الشعبية، 71 سنة، قلعة، تراث شعبي
- 18- نبيل حمدي عبد المقصود الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م.
- 19- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار تحضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- 20- نصار نواف، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م.
- 21- نعمان بن محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، 1978م.
- 22- هنية بوترعة، الأغنية الشعبية، 68 سنة، وادي الشحم-قلعة